ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Resear. Najm Obaid Mareed
Assist.Pro.Dr.Saadoon Abdulhadi Barghish

Wasit University/ College of Education for Human Sciences

Email:
Najmaldlfe2@gmail.com

Keywords:

Symbol, time, place, ancient egypt, eye, desert.

Article info

Article history:

Received 14.Oct.2020

Accepted 17.Apr.2022

Published 1.Aug.2022

Temporal and spatial symbols in ancient Egyptian literature

A B S T R A C T

The attempt to understand the ancient Egyptians and their culture and civilization requires an understanding of some symbols, and how they affected them. The symbol forms the fabric of ancient Egyptian thought. Symbolism has been described as the basic form of ancient Egyptian thought. This study represents an attempt to find out the symbolic method used by the writer in ancient Egypt through his use of temporal and spatial images and employing them symbolically. The research relied on the analytical method through the analysis of texts, as well as the descriptive approach to describe and clarify the most prominent meanings contained in these symbols.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol48.Iss3.1732

الرموز الزمانية والمكانية في الأدب المصري القديم

الباحث نجم عبيد مرعيد أ.م.د. سعدون عبد الهادي برغش الأمير

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

إن محاولة فهم المصريين القدماء وثقافتهم وحضارتهم تستوجب فهم بعض الرموز، وكيفية تأثيرها عليهم. ويشكل الرمز نسيج الفكر المصري القديم. وقد وُصِفَتْ الرمزية باعتبارها الشكل الأساسي للفكر المصري القديم. هذا وتمثل هذه الدراسة محاولة لمعرفة الأسلوب الرمزي الذي استخدمه الأديب في مصر القديمة من خلال استخدامه لصور زمانية ومكانية وتوظيفها بشكل رمزي. وأعتمد البحث على المنهج التحليلي من خلال تحليل النصوص، وكذلك المنهج الوصفي لوصف وتوضيح أبرز المعاني التي تضمنتها تلك الرموز.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الزمان، المكان، مصر القديمة، العين، الصحراء.

الرَّمْز لغـةً:

الرَّمز هو ما أُخفي من الكلام، وأصله الصوت الخفي الذي قد لا يفهم. فالمتكلم إنما يستعمل الرَّمز لما يريد إخفائه وطيَّه عن بعض الناس، ويُفضي به إلى البعض الآخر منهم. (الكاتب، ب. ت) أو هو: تصويت خفي باللسان كالهمس، وبتحريك الشفتين بكلام مبهم أو غير مفهوم باللفظ من دون إبانة بصوت. (منظور، 1990) ويبدو أن اللغة المصرية لم تتضمن كلمة توازي مصطلح رمز بالتحديد، ولكن الكلمة التي كانت تستخدم بشكل شائع هي كلمة (Twt) ومعناها صورة، وقد تكون هذه الكلمة أقرب معنى من الرمز. (Watson, 2010)

الرمز اصطِلاحاً:

يُعرَّف الرمز بأنَّه: علامة تكون العلاقة فيها بينه وبين الموضوع علاقة عرفية، فلا يوجد بينهما تشابه، أو صلة طبيعية، أو تجاور، ومن أمثلة ذلك ارتباط الحمامة البيضاء بالسلام، والشمس بالحرية (ورتشارد، ب. ت) فالرموز علامات يتداول استعمالها بين أفراد المجتمع لغرض الإيصال والتوصيل. (اولمان، ب. ت) وتلك الرموز كانت تُظهر دلالات ومعاني متعددة ومختلفة، وكان استخدام تلك المعاني طبقاً لتوظيفها. وإن بعض الرموز تحمل المعنى ذاته أو تشترك مع غيرها في إيصال رمزية معينة أو لغرض التأكيد على أمرٍ ما قد يكون الرخاء أو الحماية وغيرها. (الدين، 2011).

الرموز الزمانية والمكانية

أولاً ـ الرموز الزمانية:

لم يكن لدى المصريين مفهوم معين عن الزمن في بادئ الأمر. إذ لا تجد عندهم كلمة واحدة لتبيانه وإنما ترد مفردات متعددة. ولكل واحدة منها دلالة على معاني لغوية محددة. ومن الصعوبة أن يتم التفريق بشكل دائم بين الواحدة والأخرى منها. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ينبغي أن نتذكر إنَّ هذا المفهوم للزمن ببساطته الأكثر شيوعاً والأبسط تركيباً لهذه الحقيقة، لهُ انتماء أكثر من أي موضوع آخر بمجال الثقافة وعالم الخيال. ومن الممكن أن يتم فهمه بشكل أو بطريقة ربما تختلف بصورة تامة من حضارة أخرى، وهذا الاختلاف يشكل في الحقيقة الانتقال والتقبل لدى حضارات أخرى. ومن غير المؤكد أيضاً أن يتم فهم الزمن بصيغة موحدة يتفق عليها الأعم الأغلب من أفراد المجتمع حتى داخل حضارة واحدة معينة. علماً إن هذا ينطبق حينما يتم التحدث عن مظهر خاص للزمن الا وهو الأبدية. (كوش، 1997).

أظهر التفكير المصري ازدواجية أساسية لمفهوم الزمن وعلى قدم المساواة. حيث مَيَّزَ المصري بين الزمن (الدوري) والزمن(غير الدوري). إذ وصف الزمن الدوري بـ(نحيح) وهو ذلك الزمن الذي يتكرر، وبتعبير آخر الذي هو تكرار لا نهاية له. وقد صار يمثل في النصوص المصرية بصورة الجعران، الذي يمثل الرمز المركزي للخلاص في الفكر المصري القديم. وهذا المفهوم لا ينصب في حد ذاته على فكرة الوجود بل على فكرة أن الدورات تأتي وتذهب. كما إنَّ ما يتبلور في الدورات الفردية يختفي مرة أُخرى على أمل أن يتجدد. (Assmann, 1996)

كما إنَّ ترابط هذه الدورات واستمرارية تجددها وبصورة دائمية نجد لها مثالاً آخر يتمثل بالثعبان، ويمكن لنا رؤية هذه الصورة في الساعة الرابعة من كتاب البوابات، وذلك حينما يقوم الثعبان بولادة الزمان للساعات وبالعكس، في حين تتم الإشارة فيما بعد إلى التدفق الزمني وبصورة حبل. (فرانكو، 2001).

ساعد التنافس بين(ست) و(حورس) على ترسيخ وإرساء الزمان الدوري. إذ كانت ولادة (حورس) قد شكلت من جهته رابطاً بين زمن الآلهة وهو ما يطلق(العصر الذهبي) وزمن البشرية. حيث كان الإله المنتصر نموذجاً يحتذي به ملوك البشر. حيث تتعدد الروابط القائمة بين(هليوبوليس) وبين من يشغل وظيفة الملك، إذ إن الملك يمثل (ابن رع) ـ ليس دائما ـ وما يقوم به من مسؤوليات تجاه مصر هو الدور ذاته الذي يقوم به(آتوم) في الكون. كما إنَّ أوامر الملك كالكلمات الخلاقة للإله الخالق فهي تندمج معها. (فرانكو، 2001). أما المفهوم الآخر للزمن والذي يسمى (ديت) فقد وصف بـ(غير

الدوري) فإنَّه يرتبط بمفهوم الاستقرار والبقاء الدائم والاستمرارية وعلامته الأرض ورموزها الحجر والمومياء. (Assmann, 1996) ويعتبر الإله أوزيريس إله لهذا الزمن والذي يدير مملكة الأموات. هذا ويمثل (ديت) موضعاً مقدساً للاستمرارية والحفاظ بصورة مستمرة وبشكل دائم على التكامل الناضج بشكله النهائي، ويعتبر هذا معنى للاسم الذي يحمله أوزيريس كسيد على (ديت). (اسمان، 2005).

إن الزمان تصور ذهني مركب ومعقد، إذ أنَّ أبديته ليست محدودة. ويتناقض هذا المفهوم مع ذات المبادئ لعملية الخلق والتي تقول بتقابل الكون المتناهي بالخواء. وهذا بطبيعته يمثل مجال التنوع. (فرانكو، 2001). هذا وسنتعرف على أبرز الرموز الزمانية وما تحمله من أفكار في مصر القديمة:

1ـ الفجر:

يرمز الفجر إلى بداية جديدة أو إلى التغيير كما في قصة سنوهي* إذ كان الفجر إيذانا بتغير حياة سنوهي وتركه للصحراء ورجوعه إلى مصر:

" فلما أن اضاءت الأرض فجر اليوم التالي

جاء رجل يستدعيني ثم أقبل عشرة من الرجال

ذهبوا بي إلى القصر فصافحت الأرض بجبهتي ". (يوسف، 1962).

عند حلول الفجر أقبل على سنوهي عشرة رجال كانوا يحملون بشارة عفواً من الفرعون المصري والسماح له بالعودة إلى مصر.

بالإضافة لما تقدم فأن الفجر كان رمزاً للأمل والتطلع نحو المستقبل. وقد ورد هذا في أغنية لآتون:

" إننا نتوق إلى الفجر، ولكننا لا نستطيع

أن نتعجله، لا ندري ماذا يأتينا به الغد". (جرانتام، 1962).

إذاً يمثل الفجر هنا رمزاً للمجهول، الذي يخبيه الغد، ولكنه مصحوباً بالأمل. في حين أنَّ الفجر في قصة هلاك البشرية كان رمزاً لولادة حياة جديدة فالشمس وبينما هي تسبح فوق ظهر الإلهة نوت فإنها تبتلعها مساءً، حيث إن الشمس تبقى أثناء الليل وعبر جسد نوت إلى حين بزوغ الفجر وعندئذ تقوم نوت بولادتها من جديد. (نوبلكور، 1995).

" فمع كل فجر تنجب البقرة السماوية

نوت أو حتحور شمس النهار الجديد". (لالويت، 1992).

ويمثل شروق الشمس ولادة البطل الإلهي رع من البحر، الذي يقود مركبه في السماء، التي تبتلعه في الغروب، وفي جوفها فإنه يسافر في أعماق اليم، ومن ثم يعود لكي تتم ولادته من جديد عند إطلالة صباح يوم جديد ولكن بعد صراع مع

* قصة سنوهي: تروي قصة سنوهي مغامرات قام بها أحد رجال البلاط الملكي في مصر القديمة، وتبدأ القصة بمقتل الفرعون امنمحات الأول وفرار سنوهي على أثر ذلك إلى سوريا، وتشير هذه القصة إلى وجود مؤامرات في البلاط، كما انها تؤكد على ضرورة العودة إلى البلاد لأهمية الدفن التقليدي في مصر. للمزيد ينظر (سمبسون، 2013).

ثعبان الليل. وينبغي الإشارة إلى رأي (يونغ)* بخصوص ذلك لأنه يُعتبر من أهم إنجازات علم النفس التحليلي، فهو يتجاوز الرأي القائل بأن ذلك محاولة إنسانية لتفسير الطبيعة، إذ إنه يرى إنها رمزاً يكشف عن اختبار الإنسان القديم لتلك الحوادث، كما إنها في الوقت ذاته تُعبر وتبين موقفه منها، إضافة إلى كشفها عمَّا يضم ذلك الاختبار تحت جنبيه من شحنات عاطفية، ليس من المناسب نبذها بحجة إنها منافية للعلم، وذلك لأنها في الحقيقة توضح لنا توافق إيقاعات النفس البشرية مع ما للطبيعة من إيقاعات، ومنها الصراع بين الظلام والنور، وكذلك تعاقب الولادة والموت، لأن الرمز كما يرى (يونغ) إنما يعبر عن واقعة أو حقيقة تنتمي إلى منظومة من الوقائع والحقائق ولكنها ليست من صنف الوقائع والحقائق الفيزيائية. (يونغ، 1985).

وجاء الفجر في كراسة ممثلين على لوحة (ميترنيخ) *: " **عاد حورس إلى الحياة، ويعود النور من جديد مع بزوغ الفجر**" (لالويت، 1992). وبهذا فإن الفجر يرمز للحياة والولادة الجديدة فالإله حورس يعود إلى الحياة مع بزوغ الفجر. وفي نص آخر: " **حين ينبثق الفجر بألوانه الساحرة الفاتنة، عند مطلع الشمس. أيها الفجر – يا قلب البشرية النابض**". (جرانتام، 1962). ويرمز الفجر في هذا إلى يقظة الطبيعة، فالفجر جاء مقترناً بالقلب ليرمز للحياة حينما يطلع الفجر بألوانه وتشرق الشمس على الأرض.

ونجد الفجر في قصة الأخوين* رمزاً لزوال الباطل:

" **أبق هنا حتى مطلع الفجر. وعندما يشرق قرص الشمس،**

سوف أترافع ضدك أمامه، حتى أعيد الحقيقة إلى نصابها". (ماسبيرو، 2008).

ويمثل الفجر وشروق الشمس رمزاً لانبثاق وظهور العدالة حينما يشرق آتون، إذ كان من عادة المصريين القدماء الاحتكام إليه في مظالمهم فهو يجازي المسيء بما يستحق من عقوبة. (صابر، 1940) وهذا ما عمل عليه باتا إذ أنه احتكم للإله آتون ليحكم بينه وبين أخيه أنوب وليظهر الحقيقة ويكشف زيف ادعاء زوجة أنوب.

وكذلك الحال في تعاليم أمنوبى*:

" **لأن الثروة لو أتت لك من طريق السرقة،**

فإنها لا تمكث معك(سواد) الليل،

إذ عند مطلع الفجر لا تكون في بيتك بعد". (حسن، 1990)

فكما قلنا إن الفجر يرمز لظهور الحق وزوال الباطل، يبين لنا النص أنَّ ما سُرِقَ أثناء الليل فإنه سوف يكتشف عند الفجر وحينما تشرق شمس العدالة.

---

* كارل غوستاف يونغ: طبيب وعالم نفس سويسري، درس علم نفس الشعوب البدائية وأهتم بدراسة الرموز الفلسفية والدينية لشعوب الشرق. له عدة مؤلفات في التحليل النفسي وأبرزها كتابه الموسوم (الانسان ورموزه). (جاكوبي، 1993).

* لوحة ميترنيخ: لوحة حجرية تضم نصوص يتم إستخدامها لعلاج لسعات العقارب. (لالويت، 1992).

* امنوبي: هو أحد حكماء مصر القديمة، وكان يتولى وظيفة ناظر على شونه الحبوب في أبيدوس، وقد كتب حكمه الرائعة على هيئة وصايا ونصائح إلى إبنه، والتي دونها على بردية عرفت بردية(أمنوبي). (أديب، 2000).

وفي نص آخر فإن الفجر يرمز للحق وكشف الاحتيال: " **وإذا كانت قشرة الذهب توضع فوق السبيكة لتظهرها ذهباً خالصاً فإنها في الفجر تكون من قصدير**". (حسن، 1990) فما يتم في الخفاء من أعمال السوء ومحاولة تزيينها لتبدو حسنة في أعين الناس، فإنها لابد أن يحل عليها الفجر ليكشف زيفها وبطلانها.

2ـ عين رع:

جاء في الأسطورة إن الإلهة (تفنوت)* عين رع غضبت من أبيها رع وتركت هليوبويس مغادرة إلى النوبة. (أرموار، 2005) إذ تدور هذه الأسطورة(أسطورة البقرة السماوية) حول محور مسار الشمس. وذلك من خلال الرمز إذ إن ابتعاد ابنة إله الشمس عن خالقها ومحل إقامتها كان له رمزية، إذ إنها تستقر في جنوب البلاد، شرقي النوبة، ويمثل ابتعادها في الفكر المصري رمزاً لأفول كوكب الشمس تزامناً مع مجرى السنة، إذ أنه في الواقع يبدأ في الارتفاع في فصل الصيف من الشرق حينما يكون في أشده. ولكن قدراته تبدأ بالأفول والضعف بالتدريج مع بداية قدوم فصل الشتاء، إذ إن غيابه يبدأ يطول أثناء الليل ويكون ظهوره في الجنوب الشرقي، كما أن عظمته المشعة تكون ضعيفة وبعيدة بفارق كبير. وخلال فصل الشتاء فأن أشعة الشمس فيه تكون أقل توهجاً، فهو يمر بمرحلة أو فترة ضعف في سماته الأصلية، فالملاحظ هو انخفاض نسبة الحرارة وقلة حدة الضوء خلال النهار. وهذا يفسره المصري بقوله إن المجسدة لتلك القوة الحيوية، أنها تقيم في الخارج، مع بقائها محتفظة بقوة وعنفوان ما تتمتع به من مزايا في المناطق الجنوبية التي تتمتع بحرارة أشد من حرارة مصر. (فرانكو، 2004) ترمز هذه الأسطورة إلى التحول الواضح لمدار الشمس والتطلع إلى الجنوب في فصل الشتاء. وكان يتم تجسيد هذه الظاهرة من خلال مسرحيات كبيرة عند المصريين القدماء يتم من خلالها توضيح الفرق بين شمس الشتاء، وشمس الصيف الشديدة الحرارة والقوية جداً. (Spiegelberg, 1917)

3ـ عين حورس:

تحوي أسطورة الصراع بين حورس وست الكثير من الرموز. فهي تمثل رمزاً يخفي بين جنبيه ظاهرة طبيعية تتمثل بالنضال بين النور والظلام، إذ ينتهي ذلك الصراع بغلبة النور على الظلام والذي ينتج عنه ولادة القمر. ففي ذلك الحين لم يكن المصري عارفاً بالحقائق المعنوية، ولأجل ذلك صور هذا الصراع بحقائق ملموسة من خلال الرمز، إذ يرمز حورس للنور والذي يتغلب على ست الذي يرمز هو الآخر للظلام. (حسن، 1990) ويحدث في الأسطورة أن يقوم ست باقتلاع عين حورس. (بلوتارخوس، ب. ت)

" **ووجده ست وأطبق عليه، وطرحه من فوق ظهره**

على الجبل وأقتلع عينيه الأثنتين من مقلتيهما

ودفنهما على الجبل ". (سمبسون، 2013)

إذ إن عين حورس تمثل القمر (ناردو، 2011) ولهذا فأن اقتلاعها وسرقتها من قبل ست يرمز إلى اختفاء القمر. (لوركر، 2000) وتقوم الإلهة (تحوت) بإصلاح عين (حورس) وإعادتها لكي يعود القمر دورته كل شهر، حيث يتجدد

* تفنوت: إلهة تمثل الرطوبة، وهي زوجة الإله شو. وحظيت بالعبادة والتوقير في مدينة منست، وفي أنحاء أكسيرنخوس. (راشيه، 2006).

كهلال ويتدرج في النمو ليصير بدراً. (رويز، 2005) ويذكر كتاب الموتى في الفصل (150) أنه يتم ترميم عين حورس التي تمزقت وذلك في معبد البنبن *عند تمام القمر وتحديداً في الشهر الثاني من الشتاء:

" يتجلى صاحب الجلالة مثلما تجلى في

المناسبة الأولى عندما توجت العين المقدسة

(الشمس والقمر) رأسه لأول مرة ". (كلارك، 1988)

ويبدو أنَّ تزامن ترميم عين حورس عند تمام القمر له ارتباط رمزي بالفرعون، إذ تتكرر عملية الخلق عند ميلاد الروح من جديد بعد وفاة صاحبها، وقد أستمد المصريون القدماء من هذا التكرار الموضوع الرئيسي لطقوس تنصيب الفرعون. (كلارك، 1988)

4ـ الليل:

يُعَدّ الليل عنصر من عناصر الخواء في عالم الواقع. (فرانكو، 2001) كما إن الليل هو من المظاهر المخلوقة في العالم، إذ تدنو منه قوى العالم الآخر الذي يصعب فهمه حين المقارنة مع الظلام الذي كان في العصور الأزلية. ويشكل ظلام الليل في الوقت ذاته منفذاً إلى سر الوجود. (لوركر، 2000) وتتفق كل أساطير الخلق بوجود لُجة من المياه الأزلية كانت قد سبقت ظهور المخلوقات، وكان امتدادها إلى ما لا نهاية في تلك المياه حيث تمتد إلى الأعلى مثلما تمتد إلى الأسفل، وكان العماء يطغو عليها، حيث أن جل ما فيها هو ظلام إذ لا شكل ولا صورة له. وإن الكون الذي يُعد موطن الضياء، كان محفوفاً بكثافة من الظلمة اللامتناهية، كفقاعة من نور ونظام، يحيط بها ويلفها الليل الأزلي والسرمدي للمحيط (كلارك، 1988):

" في البدء كان الظلام يسبح على وجه الماء، ولم يكن العالم

الحالي – موطن إله الشمس – إلا جزءاً من الليل الأبدي". (كلارك، 1988)

ويرمز الليل للوقت الأمثل لسيادة الفوضى والاضطراب والقتل. (كلارك، 1988) وفي الليل تحدث المعركة بين رع والثعبان أبو فيس. (Maspero, 1901) وطبقاً للفصل (149) من كتاب الموتى يمكن مشاهدة الثعبان ليلاً، كما إن الليل رمز للتخفي والتستر، ويمثل وقت خروج الحيوانات المفترسة من جحورها ومساكنها لتصيب البشر بالموت أو المرض. (لوركر، 2000) وإن الأفعى في أسطورة قتل الافعى أبو فيس تُعَدّ رمزاً للتخفي، التستر، وللظلام الذي يهزمه الإله رع (الشمس) صباح كل يوم وذلك حينما تبدأ رحلته عبر السماوات في مركبه السماوي، وبشكل خاص في صباح كل سنة جديدة. (كوك، 2006) وقد أقترن حلول الظلام بغياب الإله (آتون) وبالتالي فأن حلول الظلام كان باعثاً للخوف والقلق لارتباطه بحدوث السرقات وارتكاب الجرائم والقتل، كما يوضح لنا نص من نصائح أيبور لابنه، يرمز للوقت الأمثل لحصول الاعتداء والسرقة. ففي هذا الوقت يتسلل الأعداء من الصحراء إلى مصر للقتل والنهب. (Maspero, 1901) فيختبئون في الأدغال بانتظار وصول المسافرين الذي يداهمهم الظلام، ليستولوا عندها على ما يحمل، كما أنهم لم يكتفوا بذلك بل يقوموا بضرب أولئك المسافرين وذبحهم. (برستيد، 1961) وبذلك تكون ظلمة الليل رمزاً للأسرار ووقوع المفاجآت

---

* البنبن: نصب حجري كان يعتبر القلب في المعبد الكبير المخصص للشمس في هليوبوليس، هذا وقد تم تخصيصه للطقوس الدينية كما إن له رمزية متعددة ومن بينها هو أنه يرمز إلى الأكمة الأولية تلك التي كان الإله الخالق قد أمر بإنبعاثها من الخواء وذلك عن بدء الخلق. (فرانكو، 2001)

المليئة بالأخطار، فقطاع الطرق يستغلون وقت الليل وينصبون الكمائن مختبئين بين الأشجار للهجوم على المسافرين وسرقة ما بحوزتهم وضربهم وأحياناً قتله. (أيكو، 2005)

ونرى الليل في نص آخر:

" **انظروا: إن صاحب الثروة الآن يمضي**

الليل عطشان بدلاً من إقامة الولائم ". (برستيد، 1961)

ويمثل الليل هنا رمزاً للمعاناة، للهم، الشعور بالقلق والخوف، إذ إن تلك المشاعر تجتاح الإنسان الذي يمتلك ثروة ويخاف عليها من الاعتداءات والسرقة.

ويرد الليل في تعاليم الملك أمنمحات لأبنه سنوسرت (يوسف، 1962) وذلك حينما يشرح لأبنه أحواله في إحدى الليالي التي أستيقظ فيها على صوت القتال، وغذا به وحيداً، فالحراس كانوا مشتبكين مع الأعداء، وحينها لم يكن بإمكانه الإسراع ليأخذ سلاحه لمبارزة الأعداء، لأن الخوف من ظلمة الليل حال دون ذلك. (ولسون، 1951) وبذلك يكون الليل الوقت المناسب لتدبير المؤامرات وتنفيذ عمليات القتل من قبل الأشخاص الجبناء، كما تجمعوا لاغتيال الملك أمنمحات أثناء نومه في الليل إلا أنه كشف مؤامرتهم. وشبيه بهذا ما جاء في قصة الأمير(بادي خونس) والملكة(سيربوت):

" **فقال الأمير[بادي خونس] ..... إن المرء لا يقاتل في الظلام** ". (لشتهايم، 2016)

وكذلك في نص آخر:

" **ومتى تغرب فوق الأفق الغربي، فأن الأرض تصير في ظلام**

على نمط الموت فإنهم ينامون في فراش برؤوس تحت الأغطية،

ولا تقدر عين واحدة أن ترى الأخرى. وإذا سرقت كل متعلقاتهم

التي هي تحت رؤوسهم، فلن يتحققوا من ذلك، وكل أسد يخرج

من عرينه، وكل الثعابين تعض، لأن الظلام مطلق ". (سمبسون، مج2، 2016)

وبذلك يتأكد لنا أنَّ سواد الليل يعتبر الوقت الجيد الذي تتمكن فيه الحيوانات ومن بينها الثعابين والأسود من اقتفاء رائحة فريستها بشكل أسهل مما لو كانت الشمس بازغة. (جرانت، 1961) وكذلك الشياطين، إذ يتطلب منها عدم كشف وإظهار وجهها لكي لا ترى نظراته المرعبة، وكما يوضح لنا أحد النصوص بهدف القضاء على الرعب ودحره والذي يقوم بمهاجمة البشرية أثناء الليل.

وفي قصة الأمير وقدره المحتوم يرمز الليل للتستر والتخفي:

" **مكث الأمير في منزله لكي يتسلى وينشرح،**

وعندما أرخى الليل ستره، نام الأمير فوق حصيرته،

وغلب النوم على كل أعضائه، وقامت زوجته تملأ ...

وحينئذ خرج ثعبان من جحره، لكي يلدغ الأمير". (ماسبيرو، 2008)

فالأفعى خرجت مع حلول الليل عندما خلد الأمير للنوم لتنقض عليه وتلدغه لولا يقظة زوجته التي قضت عليها وخلصت زوجها الأمير من الموت.

إن قصة ساتني والتي تدور أحداثها في عالم ما بعد الموت وتحديداً في الطابق الثاني الخاص بالأموات ـ فالإيمان المصري وعلوم الكهنة كانت قد صورت للمجتمع أن العالم يبدو كأنه مسرح ذو طابقين العلوي خاص بالأحياء في حين أن الطابق الثاني كان للموتى والظلمات ـ تبين لنا إن المياه الأبدية بعد أن ساهمت بتكوين قبة السماء، أخذت تتساقط بهيئة شلال دافق عظيم المدى نحو الغرب، ومن ثم تغوص فيه من خلال فوهة الشق أو الشرخ الذي من خلاله تنزل الشمس إلى عالم الليل ـ إلى أعماق الأرض ساحبة معها قارب الشمس وموكبها الذي يضم الآلهة المضيئة، وهنالك يجوب الممرات التي يسودها الظلام وعلى مدى اثنتي عشرة ساعة. (ماسبيرو، 2008) وهكذا يبدو الظلام في عالم الموتى ليرمز للمجهول وعالم اللاعودة. ويذكر لنا أحد النصوص:

" **الذين إجتازوا قبلنا باب الظلام، لا يعود واحد ليخبرنا عن الطريق**". (المرزوقي، 2000)

إن الشر والأمراض باعتقاد المصري القديم تحل مع بداية الليل لتدخل المنازل وتسعى للدخول في الجسم الضعيف لتعذبه بالحمى، وقد تتلبس تلك الأرواح الشريرة بقناع الصداقة وتتقدم بحيلة إنها تريد تهدئة وشفاء الطفل الصغير المتوجع من الألم. وبالإمكان سماع صوت الأم وهي منحنية فوق صغيرها وهي تلقي نظرات خاطفة من خلال الباب المفتوح على تلك الظلمة التي تسكنها القوى الشريرة (برستيد، 1961):

" **عجل الخروج، أنتَ الذي تجيء في الظلام، الذي**

تدخل خلسة، وأنفه إلى خلفه ووجهه متحول إلى

الوراء، والذي يخسر ما أتى لأجله". (برستيد، 1961)

والليل في أحد النصوص يرمز للألم والمرض والمعاناة:

" **فلينجل الليل مثلما ينجلي النهار! فلتطرد بعيداً**

كافة الأمراض الوبيلة التي يأتي بها ست". (كونج، 1999)

والليل في هذا النص رمز مرتبط بالشر الذي يجلبه الإله ست، ولذلك كان الفرد يرجو أن ينقضي الليل ليتخلص من الشر الذي يحيط به ليتجنب الإصابة بالأمراض التي يجلبها الإله ست. (Maspero, 1901)

وقد يأتي الليل بتعبير رمزي آخر، فنقرأ في أغنية حب:

" **هل من ساعة تجود بها على الأبدية حينما يجمعني**

الليل معك فإنك قد رفعت قلبي ..عندما حان الليل ". (صابر، 1940)

ومن هذا النص يتضح لنا، أنَّ الليل كان يرمز للوقت الجميل والملائم حيث يلتقي العشاق.

ثانياً ـ الرموز المكانية:

إن انعزال مصر عن جيرانها بتأثير الصحراء والبحر، كان قد ساهم في خلق شعور عندهم بأن أرضهم هي الأرض الوحيدة ذات الشأن المهم في الدُنيا. (فرانكفورت، 1980) كما إن انقسام مصر إلى منطقتين هما الأراضي الخصبة والصحراء، فشغل المصري القديم الأراضي الخصبة بالزراعة، بينما انعدم الغطاء النباتي في الصحراء، ويضاف إلى ذلك

فكر ومعتقدات المصريين القدماء التي ارتبطت بأماكن محدودة، كل ذلك كان له انعكاسه في الأدب المصري القديم من ناحية عدد الأماكن التي كانت لها رمزية عندهم. ومن أبرز تلك الرموز:

1ـ الصحراء:

تختلف المعاني الرمزية للصحراء باختلاف الأفكار التي ترمز لها، فهي رمز الملاذ الآمن إذ أنَّها أرض لا تحدها حدود، ويتسم هواؤها بكونه نقياً، ويجد الفرد نفسه وكأنه ينقاد نحو أرض الخلود تلك، وبتعبير آخر وكأنه في مكان بعيد عن العالم الدنيوي. (لالويت، 2003) فيجد القارئ في أحد نصوص الحكمة:

" كون لنفسك سكناً طيباً، في وادي الصحراء

حيث سيوارى جسدك، ليكن ذلك ماثلاً أمام عينك ". (صابر، 1940)

ويلاحظ إن الحكيم المصري هنا يحث الآخرين بان يحرصوا على الاهتمام بتهيئة قبراً لهم في الصحراء، وذلك من خلال القيام بالأعمال التي يريدها الإله، والالتزام بالأخلاق الفاضلة.

وجاءت الصحراء في قصة الأمير وقدره المحتوم: " **بنى له منزلاً من الحجر في الصحراء، وكان مجهزاً بالخدم وكل الأشياء الجيدة**". (Erman, 1927) فحينما علم الملك بقدر ابنه حاول الحفاظ على حياته وذلك ببناء قصر له في الصحراء لينفرد به بعيداً عن الأذى والهلاك بهذا تكون الصحراء رمز للمأوى والأمان. (صابر، 1940)

وتأتي الصحراء رمزاً للخطر، إذ نقرأ في قصة هلاك البشرية، إنَّ العصاة من البشر لجأوا إلى الصحارى الموحشة والتي تمثل مأوى وملجأ للمعادين لمصر (فرانكو، 2004): " **أنظر إنهم قد يفرون إلى الصحراء وقلوبهم في رعب مما أقوله لهم**" (لشتهايم، مج2، 2014). ويبدو إن فرارهم من الموت إلى الصحراء التي تحفها المخاطر، كان ملاذاً ينجيهم من غضب الآلهة.

هنالك كثير من الأراضي المقفرة التي أحاطت بمصر، وكان من المتوقع أنْ تَهِبَ منها في أي وقت غزوات وهجمات أجنبية أو غارات من نهابين وسلابين، كما أن تلك الأراضي كانت مقراً للعديد من الحيوانات المفترسة والضارية، وكانت الصحراء تعتبر أفضل مكان لظهور الخواء الذي يشكل تهديداً خطيراً لنظام الآلهة والحضارة. كما إنَّ جميع ما يبدر من الصحراء كان ـ ومن الجانب الرمزي ـ عُدَّ عنصراً من عناصر الشر أو العدو، ويقتضي التصدي له ومحاربته بشكل عملي، وبالأساليب والفنون السحرية. وترمز الصحراء للخطر والعدوانية وجاءت عدوانية الصحراء نتيجة لارتباطها بالإله (ست) كما أن عدوانيتها تأتي من الشمس إذ إنها تتضح من خلال العنف والقسوة التي تبديهما بنسبة كبيرة. (فرانكو، 2001)

إذ تُعدُّ الصحراء فائقة الخطورة، فيضاف لكونها أرض رملية تفتقر للماء، فهي تضم أعداد كثيرة من الأفاعي الخطرة من فصيلة الثعابين الرملية (كونج، 1999)بالإضافة إلى الأسد والنمر التي كانت تشكل خطراً مميتاً. (Maspero, 1901) ولهذا نلاحظ إن الحملات المصرية في المناطق الصحراوية كان يصاحبها أطباء يحملون سائل سحري للحماية من خطر الحيوانات السامة والتي قد يكون لها ارتباط بالإله ست. (كونج، 1999) ونلاحظ سنوهي حينما يجد نفسه في وسط الصحراء فإنه يتحدث عنها واصفاً هولها:

" لقد إنقض الظمأ عليَّ. وثقل الإنهاك على أعضائي،

وأخذت أقول لنفسي: ها هو طعم الموت". (ماسبيرو، 2008)

وما قول سنوهي عن إحساسه بالموت إلا تعبيراً عن رمزية الصحراء للخطر والموت، لعدم توفر الماء فيها، وشدة الحرارة فيها التي تهلك حياة الإنسان.

وكانت الصحراء وبشكل دائم على استعداد للهجوم والتعدي على أطراف مصر اليانعة، وبإمكانها أن تحول الطمى الخصيب إلى رمل قاحل. (فرانكفورت، 1980) ونجدها في نصائح (إيبور):

" وفي الواقع، توجد الصحراء في البلاد،

وأقاليم مصر أتى عليها التخريب

وحاملوا الأقواس يأتون إلى مصر". (برستيد، 1961)

إنَّ تواجد الصحراء في مصر ماهي إلا تعبير عن الوجود الآسيوي في مصر(بدو الصحراء) كي ترمز للموت.

2ـ مستنقعات الدلتا:

ذُكرت مستنقعات الدلتا في اسطورة صراع أوزيريس مع ست، فنرى تحوت وهو يحث إيزيس بعدم اليأس، ويشير إليها بالتوجه إلى مستنقعات الدلتا في الشمال والتي لا يعرف بها ست، كي تختبئ هي وأبنها حورس، وعندئذ لن يتمكن ست من إيجادهما:

" أذهبي هناك، ربى حورس جيداً، وعندما يبلغ أشده،

يستطيع أن يرجع ليثأر لأوزير ويأخذ العرش من ست". (ناردو، 2011)

وتمثل مستنقعات الدلتا هنا رمزاً إلى رحم الكون وللعزلة، إذ أن صبا حورس كأنه حمل مديد، فهو يخضع لملاحظة إيزيس. ويضاف إلى هذا أن حورس كان الكيان الإلهي الأوحد في عائلة أون الربانية إذ لا أحد آخر غيره، والذي بزغ إلى الوجود، ولكنه لازال كائناً غير مكتمل النمو. (فرانكو، 2004) إلى أن أشتد ساعده. وهكذا ساهمت مستنقعات الدلتا في خلق قوة حورس، فأصبحت لديه القدرة على الانتقام من ست قاتل أبيه والأخذ بثأره. (برستد، 1956)

وترد مستنقعات الدلتا في أغنية للإله (آتون):

" هي ساعة تقترب فيها النجوم من الأرض، وتتألم إذ

ترى صورها مهزوزة، ومنعكسة في أوحال المستنقعات ". (جرانتام، 1962)

ومستنقعات الدلتا هنا ترمز للصورة المقلوبة أي غير الحقيقية التي يعكسها الماء.

3ـ الباب:

يُعَدّ مدخل الباب نقطة عبور ومانعاً في وقت واحد، ولكن حسب السياق الذي يرد فيه هذا، ويُعد الباب رمزاً له ازدواجية تتمثل بالدخول والحماية. (لوركر، 2000) وقد جاء بهذا المعنى في أحد نصوص التوابيت :

" حتى يوقرني أرباب العالم السفلي،
ويصونوا لي بواباته، كي لا يدنو مني
من يروم لي الأذى، ولا يراني في
موطن الظلمات". (كلارك، 1988)

فطالما إن بوابات العالم السفلي مصانة ومغلقة، فإن الفرد محمي من الأخطار والمحاولات التي قد تطال حياته أو إلحاق الأذى به.

بينما ورد الباب في نصوص الأهرام ليرمز للدخول:

"**حورس! إن كنت تحب الحياة، بسبب حياته**
الصادقة، فلا تغلق أبواب السماء، ولا تسد
مسالكها، بعد إن رفعت روح بيبى إلى السماء" (عامر، ب. ت)

ويمثل فتح الأبواب أمام الميت رمزاً للسماح بدخوله للسماء ليكون برفقة الآلهة.

ويُذكر الباب في قصيدة انتصار (مرنبتاح):

" **وهو الذي جعل أهالي(منف) يفرحون على أعدائهم، وجعل**
(بتاح تنن) يبتهج ويشمت بخصومه. وهو الذي فتح أبواب(منف)
بعد إن كانت قد أُغلقت وجعل معابدها تتسلم أرزاقها ". (حسن، ج2، 1990)

ويرمز الباب هنا للانتصار، كما إن فتحه يرمز للأمل والخير الذي ينهال على منف، فقد بانت هذه المعاني على أهالي تلك المدينة فقد ابتهجوا بذلك وشمتوا بخصومهم.

ويأتي الباب برمزية مزدوجة في قصيدة حب من بردية (شستر بيتى) الأولى* فنراه في أول النص يرمز للحاجز أو المانع الذي يحول بين الحبيبين:

" **لقد مررت ببيتها تحت جنح الظلام، فطرقت الباب ولم يفتح أحد،**

إنها ليلة سعيدة لحارس بابنا، أيها المزلاج سوف أفتحك!

وأنت أيها الباب، إنك قدري، أنت الروح الخيرة التي تخصني،

إن ثورنا سوف يذبح بالداخل، أيها الباب لا تُظهر قوتك" (لشتهايم، مج2، 2014).

ولأجل اجتياز الباب بكونه رمز للحاجز، توجب على الحبيب تقديم رشوة للبواب ليفتح الباب، بعد أن يكون قد صنع من قبل صبي، والباب عندما يصنع من مواد غير قوية كالبوص والحشائش فإنه يرمز للضعف وسهولة الاجتياز، بمعنى عدم القابلية على الصمود. ويمكن ملاحظة هذا من خلال تكملة النص :

"**سوف أقدم قرناً طويلاً للمزلاج، وقرناً قصيراً للقفل.**
وأوزة برية لقوائم الباب، وسيكون شحمها للمفتاح،
على أن تكون القطع المنتخبة من ثورنا من نصيب
صبي النجار، حتى يصنع لنا مزلاجاً من البوص،
وباباً من الحشائش المجدولة. وهكذا كلما حضر
الأخ في أي وقت، يجد بيتها مفتوحاً " (لشتهايم، مج2، 2014).

---

* بردية شستر بيتي: من أهم البرديات الطبية في مصر القديمة، ويرجع تاريخها إلى عصر الأسرة التاسعة عشر وتتضمن مجموعة من الوصفات طبية والتعاويذ السحرية وهي محفوظة في المتحف البريطاني. (علي، 2004)

وهكذا فإن فتح الباب يعطي مساحة من الحرية للحبيب لرؤية معشوقته في أي وقت شاء أن يراها ودون حاجز يحول بينهما.

الاستنتاجات

إنَّ الموقع الجغرافي، البيئة الطبيعية، ناهيك عن عامل آخر مهم وهو المعتقدات الدينية قد ساهمت في صياغة واختيار الرموز في مصر القديمة، وبالتالي ليستخدمها الأديب المصري القديم. كما أن شيوع استخدام بعض الرموز لا يعني عدم وجود رموز ابتكرها الأديب لوحده، إذ وجدنا الأديب في حالات مختلفة قد ابتكر رموزاً خاصة به، وربما كانت موجهة لفئة معينة من الناس. فالمصري القديم ومن خلال ملاحظته للظواهر الكونية وما يترتب على حدوثها أو يعقب ذلك من ظواهر أخرى قد كانت منطلقاً له لاستخدامها كرموز عبرت عن الكثير من المعاني والحالات النفسية التي كان يرجوها الفرد أو المجتمع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت لبعض الرموز أثرها في ولادة حالات فكرية معينة لدى الإنسان المصري القديم وجعلته يتخذ موقفاً معيناً تجاهها.

المصادر والمراجع العربية

- أ.أ. جرانتام. (1962). حكمة اخناتون. (ايريس حبيب المصري، المترجمون) القاهرة: دار النهضة العربية.
- ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم الكاتب. (ب. ت). البرهان في وجوه البيان. القاهرة: مكتبة الشباب.
- ابو الفضل جمال الدين ابن منظور. (1990، مج5). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- احمد عبد الحميد يوسف. (1962). في الأدب المصري القديم. القاهرة: دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع.
- أمبرتو أيكو. (2005). السيميائية وفلسفة اللغة. (أحمد الصمعي، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- آنا رويز. (2005). روح مصر القديمة. (اكرام يوسف، المترجمون) القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- اوغدن ورتشارد. (ب. ت). معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية. (كيان احمد حازم، المترجمون) ب.م: دار الكاتب الجديدة المتحدة.
- ايزابيل فرانكو. (2001). معجم الأساطير المصرية. (ماهر جويجاتي، المترجمون) القاهرة: دار المستقبل العربي.
- ايزابيل فرانكو. (2004). أساطير وآلهة (نفثات رع إله الشمس). (حليم طوسون، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- إيفان كونج. (1999). السحر والسحرة عند الفراعنة. (فاطمة عبد الله محمود، المترجمون) ب. م: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- بلوتارخوس. (ب. ت). إيزيس وأوزيريس. (حسن صبحي بكرى، المترجمون) القاهرة: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
- جاستون ماسبيرو. (2008). حكايات شعبية فرعونية. (فاطمة عبد الله محمود، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- جمال المرزوقي. (2000). الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي. القاهرة: دار الآفاق العربية.
- جوستاف لوفيفر. (ب.ت). روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني. (علي حافظ، المترجمون) مصر: دار مصر للطباعة.
- جون جرانت. (1961). الفرعون المجنح. (ابراهيم العفيفي، المترجمون) ب. م: مكتبة الأنجلو المصرية.
- جون ولسون. (1951). الحضارة المصرية. (أحمد فخري، المترجمون) القاهرة: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- جى راشيه. (2006). الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية. (فاطمة عبد الله محمود، المترجمون) القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- جيمس هنري برستد. (1956). فجر الضمير. (سليم حسن، المترجمون) ب. م: مكتبة مصر.
- جيمس هنري برستيد. (1961). تطور الفكر والدين في مصر القديمة. (زكى سوس، المترجمون) القاهرة: دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع.
- دون ناردو. (2011). الأساطير المصرية. (احمد السرساوي، المترجمون) القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- رمضان عبده علي. (2004). حضارة مصر القديمة،ج2. ب. م: المجلس الأعلى للآثار.
- رندل كلارك. (1988). الرمز والأسطورة في مصر القديمة. (احمد صليحة، المترجمون) ب. م: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- روبرت أرموار. (2005). آلهة مصر القديمة وأساطيرها. (مروة الفقى، المترجمون) القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- ستيفن اولمان. (ب. ت). دور الكلمة في اللغة. (كمال محمد بشير، المترجمون) ب. م: مكتبة الشباب.
- سليم حسن. (1990). الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة،ج1. ب.م: مطبوعات كتاب اليوم.
- سمير أديب. (2000). موسوعة الحضارة المصرية القديمة. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
- صموئيل هنري كوك. (2006). أساطير شرق أوسطية. (عبد الجواد سيد عبد الجواد، المترجمون) القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- عبد الحليم نور الدين. (2011). الديانة المصرية القديمة،ج3 . القاهرة: دار الأقصى للطباعة والتجارة والتوريدات.
- عطية عامر. (ب. ت). الأدب الفرعوني. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- فرانكفورت. (1980). ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى، ط2 . (جبرا ابراهيم جبرا، المترجمون) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ك.غ. يونغ. (1985). علم النفس التحليلي. (نهاد خياطة، المترجمون) دمشق: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- كريستيان ديروش نوبلكور. (1995). المرأة الفرعونية. (فاطمة عبد الله محمود، المترجمون) ب.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- كريستيان زفى كوش. (1997). مصر الفرعونية : الآلهة والناس في مصر من 3000 قبل الميلاد إلى 395 ميلادياً. (فريد بورى، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

- كلير لالويت. (1992). الأدب المصري القديم. (ماهر جويجاتي، المترجمون) القاهرة_ باريس: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
- كلير لالويت. (2003). الفن والحياة في مصر الفرعونية. (فاطمة عبد الله محمود، المترجمون) القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- مانفرد لوركر. (2000). معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة. (صلاح الدين رمضان، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي.
- محمد صابر. (1940). من أدب الفراعنة. القاهرة: مطبعة حليم.
- مريام لشتهايم. (2014). الأدب المصري القديم. مج2. (طارق فرج، المترجمون) القاهرة: مؤسسة الطويل للنشر والدراسات.
- مريام لشتهايم. (2016). الأدب المصري القديم، مج3. (طارق فرج، المترجمون) القاهرة: مؤسسة الطويل للنشر والدراسات.
- وليام كيلى سمبسون. (2013). روائع الأدب المصري القديم قطوف من القصص والتعاليم واللوحات والسير الذاتية والشعر، مج1 (محمود ماهر طه، المترجمون) القاهرة: مؤسسة الطويل للنشر والدراسات.
- وليام كيلى سمبسون. (2013). روائع الأدب المصري القديم قطوف من القصص والتعاليم واللوحات والسير الذاتية والشعر، مج2. (محمود ماهر طه، المترجمون) القاهرة: مؤسسة الطويل للنشر والدراسات.
- يان اسمان. (2005). مصر القديمة : تاريخ الفراعنة على ضوء علم الدلالة الحديث. (حسام عباس الحيدري، المترجمون) كولونيا– المانيا: دار الجمل.
- يولاند جاكوبي. (1993). علم النفس اليونغي. (ندره اليازجي، المترجمون) دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

Foreign Language References:

- Assmann, J .(1996) .The Mind of Egypt : History and Meaning in The Time of the Pharaohs .New York: Metropolitan Henry Holt and Company.
- Erman, A .(1927) .The Literature of The Ancient Egyptians .London :Methun & CO.LTD.
- Maspero, G (1901) .(Dawn of Civilization) Vol .Print Fifth Edition .London.
- Spiegelberg, W .(1917) . DER Agyptische Mythus Vom Sonnenauge .Strassburg: Strassburger Durckerel und verlagsantal vorm.R..Schultz& CO.
- Watson, J .(2020) . Information on the use and Meaning of Symbols in Egyptian Religion.